Acacia

أكاسيا

رزان محمد الزيود

رواية

الطبعة الأولى

2020

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (3666 / 7 /2019)
الزيود، رزان محمد
اكاسيا / رزان محمد الزيود. – عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، 2019
(101) ص
ر.إ. : (3666 / 7 /2019)
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

* * * * * * * * * *

رقم التصنيف العشري / ديوي : 813.03
ISBN 978-9957-91- 638 -1 (ردمك)

* اكاسيا Acacia
* رزان محمد الزيود
* الطبعة الأولى 2020
* جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة

دار المريخ للنشر دار وائل للنشر والتوزيع

* الأردن – عمان – شارع الجمعية العلمية الملكية – مقابل البوابة الشمالية للجامعة الأردنية
هاتف : 00962-6-5335837 – فاكس : 00962-6-5331661 - ص. ب (1615 – الجبيهة)
E-Mail: Wael@Darwael.Com
جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من المؤلفة.
All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the authors

الإهداء

إلى الجميلة، كالورد الأصفر..

أمي..

أكاسيا

"لو كان لي الخيار بان اختار لما كنت غير بائع للأزهار
فإن فاتني الريح لم يفوتني العطر".

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أكاسيا

إسراء

كان معـراج ينتظـر ولادة أختنـا هـدى، الـتي كانـت علـى وشك أن يطال صوتها مسامعنا.

"مخادع هو الوقت"

هكذا قال معراج لأمي الـتي كانـت تسـتمع إليـه بدهشـة، كيف يكون الوقت مخادعًا لطفل لم يبلـغ الخامسـة؟! لكـن معـراج أكمل حديثه بأن الوقت بطيء للغاية أحيانًا، وسريع جدًّا في أحيان أخرى. أوضح معراج:

"عندما تنتظر حدوث أمرٍ مـا يصـبح الوقـت بطيئًـا، وكـأنَّ عقارب السـاعة تتوقـف عـن الـدوران، وعنـدما تريـد أن تـدرك اللحظة وتعيشـها بكـل حـذافيرها، يبـدو الوقـت سـريعًا، سـريعًا كسرعة البرق."

قرأت ذلك في دفتر وجدتـه في مكتبـة المنـزل، كـان لوالـدتي الـتي دونت فيه أحداثًا يومية عشوائية، كان الدفتر في جلِّه يتحدث عـن العائلة، كنت أنا، ثم أخي معراج، ثم ولـدت هـدى أسمتنـا أمـي تيمنا بحادثة الإسراء والمعراج؛ تلك الحادثة التي بها غُسلت أحـزان الحبيب صلى الله عليه وسلم بعد عام الأحزان، فكانت عزاء النبي في وفاة أحبابـه. أوضـحت أمـي في دفترهـا سـبب تسـميتنا، كمـا وتضمَّن عبارات يومية عابرة، ففكـرت في أنـه يمكـنني أن أسـتذكر بعض الأحداث؛ لأنشـر منشـورات جديـدة علـى العـالم الأزرق، الذي أكسبني شهرة واسعة؛ بسـبب طبيعـة عملـي كاتبـة مقـال في صحيفة محلية، ولكن ليست هي المقالات الـتي روجـت لصـفحتي الشخصية، بل ما كنت أنشره من خواطر واقتباسات تعجـبني بـين الحين والآخر، وبعض العبارات التي كنت أدونها فتمتلئ صـفحتي بالكثير من الإعجابات.

أعود إلى ذاك الدفتر، لأجده يحمل بين طياته ذكريات عديدة، ذكريات أذكر بعضها، وأخرى لا أذكر أيًّا منها. الذكريات عالمي الذي أراه في مرآتي، التي تعكس خطوط العينين اللتين أصبحتا أكثر عمقًا وتشعُّبًا، فالتقت بخطوط ابتسامتي الزائفة، التي أرسمها على مُحياي؛ لأتفادى سؤالًا يبعثر قاموس كلماتي، أقول: "أنا بخير"، "أنا على ما يُرام"، لكلِّ متسائل يتساءل بجرأة عن حالي.

يجري كل ذلك الوقت في حين انشغالي عن الليالي، والسنين، والفصول.. التي ما عاد لها في البال سوى القليل من الذكرى، ولكن الذكرى الوحيدة التي ستبقى حية أحاول استيعابها هي ذكرى وفاة أخي معراج، بالرغم من أنّ أحدًا لا يتحدث عن ذكرى وفاته على الأقل ليس بصوت مسموع، لكني مارست الكتابة عنه سرًّا، حدَث كل ذلك في عيده السابع والعشرين، كان في نهاية مشواره في تخصص الطب، الذي كان على وشك أن ينهيه، شابٌّ بسيط بأحلام كبيرة، حظي بالكثير من

الاهتمام في طفولته، بل و شبابه أيضًا؛ فقد اشترى له والدي شقة، وأثثتْها والدتي؛ ظنًّا منهما أنه سيعقد قرانه فور تخرجه.

كان الجميع ينتظر معراج، وخطيبته الجميلة التي كانت على وشك أن تصبح زوجًا له، كان يُجهد نفسه بالدراسة للحصول على المراتب الأولى، كثير القراءة، ملتزم في العبادات، محافظ على الصلاة، خلوق، متَّزن، أراد أن يتطوع لعلاج اللاجئين الفارّين من الحروب، أو الفقراء اللذين لا يملكون ثمن علاج.

ذات مساء كان الجميع يحتفل بخطبة أختي هدى لزميلها سلمان، هدى تمارس مهنة التدريس للصفوف الابتدائية في مدرسة السلام، وهناك التقت بسلمان، وفي تلك الفترة تقدّم سلمان لخطبتها عدة مرات، وفي كل مرة يرفضه والدها بسبب سوء أحواله المادية، لكن هدى كانت قد تمسكت به تمسكًا أجبر والديَّ في النهاية على الاستسلام والخضوع لرغبتهما في الزواج، فوافق أبي في زيارة سلمان الأخيرة لطلبها.

اجتمع الجميع إلا معراج كان غائبًا، وبسبب انشغال الجميع بهدى التي كان من المفترض أن يُعقد قرانها على سلمان، لم يدرك أحد غيابه سوى والدتي، التي كانت قد أخبرته أن يُحضر قالب جاتو؛ لتحتفل بعيد ميلاده الذي يصادف يوم غد، رغم أنه لا يؤمن بالأعياد استجاب لرغبتها، وقبَّل رأسها الذي كان يزيِّن هاتفها المحمول، الذي أصبح مؤخرًا صديقها المقرب.

تشاهد فيه برامجها المفضلة، وتتابع بعض صفحات المشاهير، بسبب انشغالنا عنها جميعًا؛ فكلٌّ يحاول شقَّ طريقه، لم تدرك أن "مع السلامة" كانت ستكون آخر كلماته.

***

في عزاء معراج، كان والدي يتحدَّث عنه بلا توقف:

- لم يخذلنا يومًا، كان عمدتنا طوال سبعة وعشرين عامًا...

يخبر الجميع كم هو فخور بولده، يخبرهم عن إنجازاته التي لم يتحدَّث عنها مسبقًا أمام أحد، كان الجميع يستمع إليه وهو يهذي بكلمات مخنوقة وزفرات موجعة، كان صوته مرتجفًا، وصمته طويلًا، وكانت حاله كَحالِنا.

مُبالغ أبي، ولكنَّ معراج هو فعلًا مبالغ، معراج دائمًا ما يكون مبالغًا بعطفه، مبالغًا في عطائه، معراج مبالغ في إحسانه، مبالغ في حسنه، وأخلاقه، واحترامه. لم يكن عاديًّا، وفي بعض الأحيان يكون هذا هو السبب، سبب كاف ليكون الموت مؤلمًا إلى هذا الحد، لو كان معراج شابًّا عاديًّا لما كان الوداع فراقًا موجعًا.

والدتي هائمة كغيمة تطفو في الأفق، في عالم آخر تحاول أن تُحلِّل لقاءها الأخير به، تتساءل: "ماذا لو لم أطلب منه أن يحضر (جاتوه)؟ ماذا لو أنني منعته من الخروج، أو أخبرته أن ينتظر، أو

قبَّلت جبهته، ونظرت إلى عينيه؟ ماذا لو أنَّني أصررت أن أصنع جاتوه له بنفسي؟ ماذا لو ذهبت بنفسي إليه، على الأقل لأقول له وداعًا للمرة الأخيرة؟"

هي تعلم أنَّ كل هذا لا يُهمُّ الآن، بعد أن صار تحت الثرى، تعلم أنها لن تستطيع فعل ذلك الآن، فما ينفع أن تندم على ما فات، وتندم على ماذا، لقد كانت أمًّا عظيمة، أمًّا بقلب حانٍ، مفعم بالحب.

عندما ذهبت إلى المشفى كانت تأمُل لو كان ليس معراج، لو كان شابًّا آخر أخطؤوا في معرفة هويته فظنوه معراج، كانت تأمُل بلؤم لو أنه ابن أخرى غير ابنها، أي شخص غير معراج، ولكن ذكرى إعلان وفاته ما زالت ملازمة لذاكرتها، كان يحمل الخبر زوجها برفقة سلمان الذي أصبح زوجًا لابنتها هدى فيما بعد.

سلمان الذي وقف موقف رجل بحق العائلة التي ما كانت تقوى على فعل شيء، وقف موقف رجوليًّا، وأمسك بزمام الأمور كلها، من مراسم الدفن والعزاء، كان ابنًا، وأخًا، ورزقًا من السماء، يوم حلّ ما حلَّ دون سابق إنذار.

معراج كان سيكون اليوم في الثلاثين من العمر، كما تخيلناه تمامًا الزوج المثالي، والأب المثالي لطفلين، أو ثلاثة، الطبيب الأمهر، الأخ الأمثل، كان سيكون أكثر حكمة...

لو لم يمت معراج لكان اليوم كل ذلك، لو أن ذلك السائق كان يعلم أنه سيتسبب في مقتل طبيب كان من الممكن أن يكون الآن منقذًا للكثير من الأرواح، لَمَا تهوّر وقتل نفسه ونفسًا أخرى لا ذنب لصاحبها سوى أنه اعترض طريقه، فسرق روحه، وشبابه، وأحلامه، ولكن ما نفع أن نقول ونزيد مرارًا وتكرارا ونتساءل: "ماذا لو؟"، و"لماذا؟".

***

أتذكر بوضوح يوم رأيت أبي مستبشرًا ببكره الذكر، ورأيت أمي تشعر بآلام الوضع، وتعتصر يداها يديَّ الصغيرتين، وفمها يبتهل إلى الله أن يكون المولود على ما يرام. ولما ولدت أمي كان أول وجه رأيته يتلمس بداية الحياة، أغشي على أمي فوضعته الممرضة على صدري، ورحت أمسح على وجهه كما تفعل الأمهات، فتعلق قلبي به، اتخذته ابنًا رغم أن عمري عشر سنوات، حقًا الأنثى تولَد أمًّا.

فور أن أفاقت أمي أقبلت عليها الجارات، والصديقات، والقريبات، بل حتى البعيدات اللائي لم أشاهدهن يومًا في حياتي، كان الجميع يهنِّئ أمي كما لو أنها خرجت من سجن، واستعادت حريتها من جديد. هذه الحرية التي اكتسبتها لمجرد أنها ولدت ذكرًا، كنت أشعر بالخوف على وجهه الصغير الذي تلقى آلاف القبلات، فأتفقده لأطمئن أن ملامحه ما زالت في مكانها، كنت أرغب في أن أخبئه، وهن يعتصرنه بين أيديهن وأحضانهن، كأنهن متشوقات لرؤية طفل ذكر من لحم ودم، حتى ظننت أن أحداهن

لم تلد ذكرًا، ألمْ يضطجع أخي في بطن أمي كما اضطجعت أنـا؟ ألم أعش كما عاش في عالم البرزخ قبل أن نتشرف بقـدومنا إلى الحيـاة الرحبة والأرض المستوية الـتي لا نهايـة لهـا؟ هكـذا ظننـا قبـل أن ندرك أنها مستديرة، ونتعلم شـكلها الـذي أدهشـنا كمـا أدهشـتنا أشياء كثيرة ونحن نشق طريقنا لكي نكبر.

مع مرور الأيام، كنت بـدأت أصـدق مـا يقـال، وكرهـت تهامسهن، فما إن تدخل واحدة لتقول لأخرى:

- ها، طمنينا قمحة ولا شعيرة؟

- الحمد لله، والله هم البنات للممات.

أما أنا فما زلت أذكر نظـراتهن الـتي لا أعـرف معناهـا إلى الآن، ربما شعرن أني شكوتهن لأمـي لتـدبر لهـن موعظـة حسـنة، أتراها حدثتهن عن أن يكففن بأمثالهن الشعبية التافهة التي يطلقنها في وجهي: "البنت الحلوة بنص مصيبة".

أنا تلك المصيبة التي تمشي على قدمين، تقدم لهـن الشـراب ليروي عطشهن، والطعام ليُشبع بطونهن، أنا نصـف المصـيبة الـتي كن يتهامسن حولها، محاولات تحاشي نظرتهـا الحانيـة، أنـا نصـف المصيبة التي كـان عليهـا أن تخـدمهن وهـن جالسـات مسـتهزئات يتسامرن ويتجاذبن خيوط الحديث، المصيبة التي ما كانـت لتنقطـع إلا عندما يعود أبي في المساء، أبي الذي لم يكتفِ بالعقيقة، بل كان يعود إلى البيت محملًا بأكياس اللحم، حتى بعد مرور اليوم العاشـر من ولادة معراج، ويأمر أمي أن توزعه، فتطلب مـني أن أسـتدعي عددًا من النساء في الحارة ليأتين فيتقاسمنه، كرهـت وجـودهن في الدار أكثر مما كرهت أي شيء في حياتي.

مشى معراج قبل أن يـتمَّ عامـه الأول، فضـحكت إحـدى القريبات يومًا، وتنبأت له أن يرحل من البيت سـريعًا، هـو رحـل سريعًا بالفعل، ليس من البيت فحسب، بل إلى سفر طويل، توافـد المُعَزُّون كما توافدوا يـوم ولادتـه، وانصـرفوا كمـا انصـرفوا قبـل سبعة وعشرين عامًا.

كانت السماء غائمة يوم وفاة معـراج، تـواردت في رأسـي أفكار تدفقت فور انتهاء العزاء، وخامرني خاطر مبهم بأن أمسـك قلمي وأكتب مقالًا أجعله ملحمة أحكي فيها ظلم الحياة؛ فمعـراج الذي لم يعش حتى نصف حياة، يغادرها بنصف إنجاز لم يحتفِ بـه، بنصف زواج لم يكتمل بعد، بنصف سعادة لم تتوج...

ولكنني لم أكتب شيئًا، ولا قـرأت، ولم أسـتطع شـم رائحـة الكتب على الأرفف، ما بـال اللغـة لا تجيـد تعـزيتي الآن؟ لطالمـا فعلت، ما بالها لا تسعفني، ولا تُجدي مع حزني اليـوم نفعًـا، ومـا كان للنـوم أن يبـدد الوقـت، ولـو أنـي كنـت أتـردد إلى سـريري عشرات الساعات، أجلس فيه سـاكنة بـلا حـراك، تحـرقني دمـوع ساخنة تنسال مـني، لا أراهـا، ويراهـا الله، قلـبي رمـاد متطـاير في أرجاء الغرفة.

شعرت بالوحدة وللمرة الأولى، ذلك النوع من الوحدة التي تصيبنا ونحن بقرب الآخرين لا ندرك وجودهم، فننام لتستيقظ الذكريات في أحلامنا.

أعجز عن فهم ما حدث لمعراج، لماذا يموت معراج؟ لماذا يرسل الله (عزرائيل) لشاب كان على وشك أن يمارس مهنة شريفة تحيي الأرواح؟ لماذا أراد الله أن يكون معراج اليوم تحت الثرى؟ وأنا دون أخي كيف أستطيع أن أكمل؟!

أخي لم يكن يريد الرحيل، أراد أن يعيش ويعطي، فلماذا يعيش ابن جارتنا فريدة الذي أراد الموت يومًا؛ فأقدَمَ على الانتحار، لكنه نجا منه بعد أن أسعفوه في المشفى. كنا نسميه الوحش، فنسينا اسمه الحقيقي، كان يشوه القطط ويحرقها، ويدوس بقدميه القذرتين بطن أخته التي تصغره كثيرًا، لم يكن أخي كثير الخروج من البيت، سوى مرات قليلات يزوره فيها أيسر، فيجلسان على رصيف الطريق، أو يتمشيان قليلًا.

آه، تذكرت أيسر الذي راسلني على العالم الأزرق، أراد أن يعزيني في وفاة معراج، لا أعرف لماذا كنت في غاية الفظاظة، أجبته بجحود:

- أيُّ عبـارة سـتعزيني؟ لا أقبـل أن تعـزيني عبـارة، ولا ألـف عبارة.

- هوِّني عليكِ.

أجابني، كان علـي أن أعتـذر لفظـاظتي، لكنـه اختفـى، أو تخفى كما أتخفى أنا في مساحة العالم الأزرق الـتي تخصـني، مملكـتي التي أردت أن يراني ويتابعني الكثير، ما نفع كل ذلك الآن؟ أتغير، عالمي يتغير بدئًا من اليوم الذي دعتني فيه الحياة إلى مفـترق طـرق، ففرقتني عن أعز الناس إلي.

أختي هدى متصلبة من الخوف، أريـد أن أذهـب إليهـا، أن أتحدث إليها، أن أسحبها نحوي؛ كي أسحب الخـوف بعيـدًا عنهـا، لكن سلمان يسحبها مني هو الآخر، إلى عالم بعيد عـن عـالمي، مـا بال الجميع يرحل هكذا بكل بساطة!

***

جلستُ طويلًا بعد الصلاة، دفعت من رأسي الوساوس، وسحبت مسبحتي، وفي حلقي مرارة بدأت تتبدَّد قليلًا، زحفت إلى الشرفة المطلة، وأصغيت بسمعي، وببصري حدقت في الظلام، كان الهواء باردًا، والسماء حانية، وكأنها أرادت أن تحويني؛ لتجلي الاسوداد الذي يتغلغل داخل أحشائي، بكيت وبكيت، تلك الليلة، والليلة التي تليها، وتلك التي بعدها، وفي كل سجدة كنت أنتفض وكأنها آخر أيامي، فقد يفاجئني الموت كما فاجأ أخي على حين غرة، وعيت بهزتي هذه وتذكرت: "إذا هبَّت رياحُك فاغتنمها".

رغم أنَّ الرياح التي هبّت تحرق قلبي، لكنها جعلتني أنتفض حدَّ الفزع، ثم غمرتني لأحتمي بها، وفي ليلة من الليالي رضيت بلا مبرر، وكأن الله قد أمطر علي زخات من الصبر، وراح قلبي يردِّد آية وحيدة: "ولسوف يعطيك ربك فترضى".

دفعت عني الكسل والاستسلام، وانتقلت إلى حال جديدة، وأصبحت منذ ذلك اليوم أرى وجهي في الحجاب بكل ما أفعل، فتحجَّبت، شاع خبر حجابي سريعًا، يوافق خبر زواج أختي بسلمان، فتلقيت العديد من الرسائل التي تبارك لي بالخبرين، كان أيسر قد أثنى على حجابي بعبارات جميلة، وأنهاها:

- أتمنى أن تكون الكلمات قد أسعفتك أخيرًا.

استغليت فرصة رسالته الأخيرة بالاعتذار، وأسهبت قائلة:

- لم تكن أي كلمات تلك التي أسعفتني يا أيسر، بل كان كلام الله.

- أنار الله قلبك يا إسراء، رأيت نورًا يتغلغل في أعماقك منذ زمن بعيد، واليوم يتوِّجك الحجاب، فتجملينه أنت ويزيدك جمالًا...

أردت أن أشكره، لكن الكلمات راحت تحوم حول رأسي كغيمة، وقبل أن أفعل، أكملَ كلامَه:

- هناك أمر أرغب في أن أحدثك به.

أيسر كان صديق أخي الذي لم يتحدث معي يومًا، ولم يرَني سوى تلك المرات القليلة التي كنت أصب فيها الشاي، وأنادي فيها أخي ليستلمه من وراء حجاب، لم يكن حجابًا بمعنى الكلمة، لكنه كان كافيًا لكي لا يرى بسببه سوى وجهي الذي يصرخ مناديًا: "الشاي يا أخي".

شعرت بالحرج، فأغلقت حسابي متعجلة الهروب من كلامه المعسول الذي أثار تعجبي، ما الذي يحاول أن يخبرني به أيسر؟ لو أخبرتُ أختي لقالت: "ماذا تنتظرين؟ دعينا نفرح بك".

هدى أختي كانت كـثيرًا مـا تُشـعل جـذوة الأسـئلة بيننـا، باعتقادها أنني أعيش حلمًا لا واقعًا:

- لمن تكتبي؟

أظن أنني سمعتها تنطق بسؤالها هذا أكثر مما نطقت بسـؤالها عن حالي، لكـي توصـلني إلى الاسـتنتاج بـأنني سـأعيش وحيـدة، فأخبرها بأنني أكتب لهذا السبب بالذات، فأنا أرغب كثيرًا أن تخلـد ذاكرتي، أن يدرك البشر وجودي، وبذلك أكون ذكرى جميلة...

بالنسبة لها لا شيء يستحق أن أُبقي له قليلًا مني حتـى وإن كانت مجرد كلمات، لم تؤمن قط أن شيئًا يسـتحق الإفصـاح عنـه؛ فمشاعرنا تستنزف بمجرد الإفصاح عنها، مشـاعرنا وأحاسيسـنا لا يمكن أن توضع على الورق، ولا يمكن أن تكون قضية للعامة، كل شيء يعرض للعامة يستنزف ويتجزأ ويُصبح جمادًا.

لكنها تعلم جيدًا أن الكتابة بالنسبة لي حياة وأمل، وبـأنني لا أستطيع ألَّا أكتب؛ لأنني إن حاولت أن لا أكتب، سـأكتب، وإن حاولت مقاومة الكلمات ستطاردني لتدميني، فتملـؤني بالـذكرى، وأنا لا أرغب في شيء في الحياة أكثر من أن أجعـل عقلـي مفرغًـا تمامًا من كل ذكرى، وأنـا أحتـاج إلى الكتابـة؛ كـي أفـرغ ذاكرتـي فأرتاح منها، وهي لا ترغب في شيء أكثـر مـن أن أغلـق هـاتفي، وأفتح عينيَّ وأختار زوجًا:

- ها، ماذا تفعلين؟

أمازحها قائلة:

- لا شيء، أكتبُ إعلانًا، أتريدين أن أقرأه لك؟

"فتاة أربعينية ترغب في الزواج مـن شـاب أربعـيني، يُفضّـل ألا يكون مطلقًا، أو متزوجًا، أو متطلبًا، أو مشغولًا...، آه، نسـيت أن أخبرك أنهم مشغولون مؤخرًا".

- أربعينية؟ لماذا تكذبين؟ أنت لم تبلغي الأربعين بعد؟

- ليس بعـد، لكـن قريبًـا، أهـذا مـا لفـت نظـرك ؟ مـاذا عـن الإعلان؟

- جيد.

- أخ منك!

***

هدى

سلمان ذلك الشاب الشديد السمرة، قليل الكلام، كثير الانشغال، لا أذكر أني أقبلت على المدرسة إلا لأراه متجهزًا لاستقبال الجميع: "هيَّا إلى صفوفكم"، لا أراه إلا مبتسمًا، يُحيِّي الطلبة فور وصولهم، يستفسر عن أحوالهم، يحمل حقائبهم أيضًا، أحيانا أراه محملًا بعشرات الحقائب يكاد لا يظهر منه سوى عينيه الصفراوين، أو هكذا تبدوان عندما تنعكس أشعة الشمس، أشعة الشمس التي أخذت تحرقه يومًا بعد الآخر، فالبعض هنا يشيرون إليه بالمدرس الأسود لشدة سمرته. سمعت بعض المدرسات يشكين من فظاظته في الحديث معهن، بالرغم من أني ما رأيت منه سوى ابتسامة يرسمها على محياه، وينثرها كحبات القمح التي تتناولها الطيور على عجل محلقة، كانت حبات القمح هي تلك الابتسامة، التي يبادل بها طلبته كلما أقبلوا، فتتفشى الابتسامة

لتدب النشاط في أجسادهم الصغيرة، فيبدو لي وكأنهم طيور محلِّقة، أحبَّته جدران المدرسة قبل روادها، الذين أقبلوا عليها عبر السنين، فقد كنت أراه يهتم بأدقِّ التفاصيل، رأيته مرة إلى جانب الأبواب، ممسكًا فرشاة مرتديًا لباسًا ملطخًا بالدهان:

- أخضر!

صاحت به إحدى المدرسات باشمئزاز، فأجابها بثقة غير آبه بنظراتها، التي كانت تتفقد لباسه:

- الأخضر رمز النماء والجمال.

قاطعتُهم موضحة:

- وكذلك رمز الرضا والسلام.

هز رأسه موافقًا، وأردفتُ قائلة:

- يعطيك الصحة أستاذ سلمان.

- يعطيكِ الصحة أستاذة...

- هدى.

- عاشت الأسامي.

- عشت.

مضيتُ في طريقي يومها متعجبة من سلمان، هذا الذي يعمل بلا كلل أو ملل، سمعتُ تهامس المدرسين بأن أحدًا من الطلاب لم يشكُه يومًا إلى المديرة التي كانت تثني عليه ذلك دومًا أمام الجميع، بعكسهم وبعكسي بالطبع، فلطالما وجدت التدريس مهنة في غاية الصعوبة، لا أدري حقًّا لِمَ رماني إليها تيار العمر، لكنها كانت فرصتي بعد التخرج، لأثبتَ لعائلتي أني كبرت بعد أن أنجزت دراسة تخصص علوم الأحياء في ثلاث سنوات وبضعة أشهر.

سبقني إخوتي إسراء ومعراج في كل شيء، أخي على وشك التخرج من تخصصه الدقيق، لم أتمكن يومًا من لفظ اسمه، لكنه في الطب على ما يبدو. أما أختي فقد استطاعت أن تتجاهل

نظرات المجتمع، وتعابيرهم المتحسرة على حالها؛ لأنها قد تجاوزت عمر الثلاثين، فكانت قد تلقت العديد من النصائح على شكل أمثال متعاقبة تتعاقب من جيل إلى جيل، فوصلتْ إليها متهشمة منكرة كل النجاح الذي وصلت إليه.

أذكر أني سمعت جارتنا أم محمد تقول لها: "يختي ضل راجل ولا ضل حيطة"، وظل ذلك المثل يتعارك مع معتقادتها، فراحت تصنع من نفسها أيقونة لتكون مثلًا لكل فتاة تطمح لكي تصل إلى النجاح المبهر، مؤخرًا حصلت على جائزة أفضل المؤثرين العرب، فقد أبهرت الجميع بممارساتها الكتابية على مواقع السوشال ميديا، كان التنافس مع إخوتي صعبًا للغاية، فلطالما ظنوا أنني سأبقى صغيرة مدللة، غير معتمدة على نفسي، فحصلت على وظيفة التدريس للصفوف الابتدائية في مدرسة السلام، حسنًا، هي وظيفة ممتعة على كل حال، باستثناء تلك المرات التي يشكوني فيها أحد الطلبة أو ذويهم إلى المديرة، فتشبعني المديرة بكمٍّ من النصائح والحِكم التي لا تُجدي معي

نفعًا، فعندما أحاول أن أتمالك ثورة غضبي، أبدو كأنني أقطع البصل إلى شرائح صغيرة، فتقطيع البصل أو حتى الوصول إلى المطبخ لغاية غير تناول الطعام يبدو لي مهمة شاقة ومتعِبة، على أيَّة حال أردت أن أقول إنني أُستفز بسهولة.

أذكر اليوم الذي شكاني فيه جميل إلى المديرة، جميل لم يكن له علاقة باسمه لا من قريب ولا من بعيد، كان كثير الكلام، كثير الحركة، يرتدي قبعة تشبه المزهرية، وحين طلبت منه أن يزيلها قال مهددًا: "إنْ أقدمت على خلعها لطارت كل أنواع الحشرات من رأسي تاركة أعشاشًا كثيرة على رؤوس كل المدرسة.." أخبرته أنه لا بأس في إبقائها، بل أظنّ أني أمرته ألا يخلعها أبدًا، وفي إحدى المرات سألني:

- أنسة هدى.

- نعم يا جميل.

- كم عمرك؟

فأجبته على الفور:

- واحد وعشرون

- هل تزوجتِ؟

- لا، ليس بعد.

- واحد وعشرون ولم تتزوجي بعد!

فضحك الجميع، فاستشطت غضبًا، استفزني ذلك، فجمعت كل شجاعتي وصرختُ به دون مقدمات: "غادِر الصف."

كان يجب أن أتمالك أعصابي، لكني لم أفعل، وحين استُدعيتُ إلى غرفة المديرة، كان أستاذ سلمان يجلس على طاولة الاجتماعات التي تقابل مكتب المديرة حيث كنت أجلس أنا، يبدو عليه عدم الاهتمام، أو الرغبة في الاستماع إلى ما سأخبر به المديرة. اندفعت المديرة:

- ها يا هدى، لماذا شكتكِ والدة جميل؟ وتقول: إنك هزَّأتِ ولدها أمام الصف؟

- لم أهزئه، أستاذة رباب لقد تمادى، فرفعت صوتي قليلًا، وطردته من الصف.

- وهل يستدعي ما فعلَ كلَّ ذلك؟

أجبتُ متململة في مكاني:

- نعم.

أصرَّت أن أخبرها ما حدث، فنظرتُ حيث يجلس أستاذ سلمان، وأنا أتلفت حولي خوفًا من أن يسمعني أحد، تمنيتُ ألا يكون مستمعًا لما سأقول، ورغبت التزام الصمت، لكنَّ غضبًا في داخلي كان قد انفجر في وجه المديرة، فأخبرتها بالقصة، ضحكَت، فانتقلت عدوى الضحك إلى أستاذ سلمان الذي كان مدَّعيًا عدم الاهتمام، حابسًا أنفاسه كي لا تنفجر ضحكاته مدوية في أرجاء الغرفة، لكنه فعل وفعلت هي الأخرى...

بحرج عدَّلت جلستي، وأردفت:

- ليس هناك ما يستدعي الضحك!

فاجأني صوته:

- وليس هناك ما يستدعي أن تغضبي لأجله.

ابتلعتُ ريقي وقلت:

- وما أدراك؟

جاءني جوابه:

- آنستي، هل نسيتِ أنني زميل لك في هذه المدرسة، لقد تعرضت لذات الموقف، وللكثير من المواقف المشابهة، لقد ظنَّ أحد الطلبة اليوم أني أبلغ من العمر المئة، فسألني بمكر:

- أعمرك مئة عام؟!

قلت: نعم.

فضحكوا جميعًا، أليس موقفًا شبيهًا بموقفك هذا؟

- ليس تمامًا، ماذا فعلتَ؟

- أخبرتُهم أنني أعرف الكثير من القصص بسبب المئة التي عشت، وأني سأروي لهم الكثير منها، بعضها مخيف وبعضها حزين، وبعضها مضحك.. أبدَوا اندهاشهم واستعدادهم لما سأقول، فكان السؤال حليفي، على عكس مقصد الطالب الذي بدا سؤاله مربكًا بعض الشيء، ولكن تذكري أنهم أطفال.

- تقصد قرودًا على هيئة بشر.

همّت الأستاذة رباب بالرحيل، استأذنت بعد أن جاءها اتصال من ذوي طالب آخر.

- أتمنى أن لا يكون طالب آخر يشكوني.

ابتسم بثقل، وبهدوء أحضر لي فنجانًا من القهوة:

- لا عليكِ.

قال بحنو مادًّا يده بالفنجان، عندما اقترب ثبَّت عينيه عليَّ، وقال لي:

- عليك أن تظهري حبك لما تفعلين، عليك أن تتظاهري بالحب، وإن اعترتك موجة الغضب هذه، اقتلعيها بشموخ.

ركَّزتُ عينيَّ عليه:

- ماذا تقصد؟

ابتسم وقال:

- يعني أن تكوني شامخة كما لو أن شيئًا لا يعنيكِ، أن يكون رأسك مرفوعًا، وإن اضطررتِ أن تنحني لتكوني في مستوى ارتفاعهم، ومستوى تفكيرهم وأفعالهم، تمامًا كما يزرع الفلاح، ويحصد البذور، ويقطف الثمار.. ما نفعله هنا هو الحصاد الذي سنجني ثماره يومًا ما وإن تأخر، كوني فخورة بما تفعلين.

سكتَ قليلًا، وحال بيننا الصمت، كما لو أنه يعطيني فسحة للتفكير..، كنتُ أتخيّل كل ما قال.

بادلتُه ابتسامة، وتناولت الفنجان منه بعد أن شكرته، ارتشفت قليلًا من القهوة، قلت:

- يبدو أنَّك تجلس هنا كثيرًا، أنا لا أراكَ جالسًا في غرفة المدرسين!

- نعم، أفضِّل الجلوس وحيدًا، لا يعنيني حديث المدرسين، والمديرة قلما تجلس في مكتبها، كما أنها في أحايين كثيرة تطلب مني أن أقوم ببعض الأعمال الإضافية.

اعترى نظرتَه شيء من الخجل وقال:

- اعذريني، فوالله ما عرفت كيف ضحكت، أو كيف تدخلت، لكن أسلوبك في سرد القصة بدا مشوِّقًا، فأرخيت سمعي، وما كان هذا جائزًا.

- لا عليكَ، جيد أنك فعلت.

ابتسمتُ، رفعتُ نظري، وإذ به يقع على الساعة المعلقة أعلى الحائط، تنبهت مذعورة:

- حصَّتي، لقد تأخَّرت كثيرًا.

وقفت على عجل:

- عفوًا، أستأذنك.

- آنسة هدى.

التفتت إليه، فقال:

- شكرًا.

- على ماذا؟

- لم أضحك هكذا منذ زمن بعيد.

اعـترت نظرتـه أحاسـيس متنوعـة، اخـتلط فيهـا الحـزن بالجمال والحسن.. لم أر مثلـهما في حيـاتي، إذ لم تصـادف عينـاي صـفاء كصـفاء عينيـه العسـليتين، أومـأت إليـه برأسـي وحيَّيتـه، وتسرب إلى داخلي شعور غريب بالمتعة، والفرح، والغبطة على ما يستطيع فعله هذا السلمان، سـجَّلت كلماتـه في ذاكرتـي، وبـدأت أتدرب على إيقاع جديد...

***

على ما يبدو أن الأستاذ سلمان يتعرّض إلى هجمة شرسة من الكذب، الذي يجعل كلْ الأساتذة ينفرون منه، مصدقين ما يشاع عنه، حتى انتقلت الأخبار إلى الطلبة الذين صاروا يتهامسون بالكلام السيئ عنه، وهو غير آبه بشيء، أو هكذا كان يبدو، كان كلام المدرسين يتسرب إلى رؤوس كل مَن في المدرسة تمامًا كالدخان، وكان الانغماس في الحديث عنه قد طال المديرة التي طلبت مضطرة منه ألا يجلس في مكتبها بعد اليوم، خشية أن يتطور الأمر، وتصل الأخبار المُشاعة إلى الوزارة، بالرغم من أنها كانت تدرك أن شيئًا مما يقال لم يحدث، وما كان ليحدث بينها وبين أستاذ سلمان، وكل ما تداوله الأساتذة هو محض كذب، وافتراء، وبهتان..

أدرك الأستاذ سلمان أنه لم يعد بمقدوره فعل شيء يوقف به ذلك الطوفان الذي بدأ يهدِّد لقمة عيشه، التي كانت بالكاد تسد رقعة، فهي أقل بقليل على ما يبدو من أن تسمح له بتغيير ملابسه التي كان يرتديها يومًا بعد الآخر، وكأنه زي رسمي عليه ارتداؤه، أو تغيير حقيبته الرثة يبدو عليها مرور قرن بأكمله بعد أن تمزقت، وبدا منها ما تحمله بداخلها من كتب ودفاتر الطلبة، التي كان يتفنن في تصحيحها، والكتابة عليها بعبارات تعبر بهم فوق الأفق متشوقين، ومتسابقين ليخبر أحدهم الآخر بما قد أثنى عليه مدرسه سلمان.

كنت أعرف كل ما يجول في خاطر المعلمين، إلا أنني بقيت متنبِّهة كي لا يطالني شيء من هذا الكذب، الذي راح ينتشر في المدرسة كالنار في الهشيم، أحسستُ بنظراتهم إلي، التزمتُ الصمت، مدعية أنني لا أعرف الأستاذ سلمان بحكم أنني جديدة هنا، ولا تربطني به صلة لا من قريب ولا من بعيد، لكنهم ما تركوني وشأني، إلى أن بدأتُ أصدّق ما يُقال عنه، أما الأستاذ

سلمان ففضَّل الجلوس في الباحة الخلفية للمدرسة في أوقات فراغه، رافضًا الجلوس في غرفة المعلمين؛ مما دعاني إلى الظنِّ أنه لا يملك ما يدافع به عن نفسه، فتسرب الشك إلى نفسي، وأطلقت زفرة سمعتُ صداها مدويًّا في المدرسة كلها، وكأنني أرغب ألا أصدق، ولكني صدقت، أو كدت أن أفعل..

البعض يكذب لأنه ينقل ما يقوله الآخرون، والبعض يصدِّق الكذب، والبعض يتعمدّ الكذب، ليستغله ويستثمره بأقصى ما يستطيع. بعض الناس لديهم القدرة على جعلك تفقد سيطرتك على شيء أتقنته ومارسته طوال حياتك، ولن يتركوك وشأنك، وإنما قد يذهبون إلى أبعد من ذلك؛ فينبشون في ما لا ينفع؛ ليجعلوك تشك في كل شيء فيك. وأحيانًا يحاولون الانتقاص من قدرك؛ لأنهم تعبوا من رؤيتك محاولًا بشقِّ الأنفس الحفاظ على ما تبقى من رمق الحياة، وكأنك تشعرهم بالقلق أو بالحيرة، فيتلذذون في اقتناص الفرص للنيل منك..

لم يكـن قـد مضـى شـهر واحـد علـى جلوسـه في باحـة المدرسة، حتى بدت الأشـجار كمـا لـو أن عمرهـا آلاف السـنين، وكذلك الحشيش الأخضر الذي لا أظن أنـني قـد رأيتـه مسـبقًا، لم أنتبه من قبل إلى وجوده، وأنا أتجول على البساط الأخضـر الـذي تنشرح له النفس، ويطيب له الخاطر، جاءني صوته محذرًا:

- انتبهي.

وبقبضته ممسكًا ثـوبي الـذي لطخـه بـالتراب، كـان هنـاك حفرة صغيرة كان على وشـك أن يغـرس بهـا نبتـة يحملـها بتـأنٍّ، وكنت على وشك أن أكون تلك النبتة:

- أعتذر.

قال لي بصوت محموم، ومضى في غرسها متحاشـيًا النظـر في عينيّ، وكأنه يدرك أنني صدقت كل ما قيل عنه:

- أنا لا أصدقهم.

قلتُ ذلك وأنا لا أعي مصدر الصوت الذي صدر مني.

كان ينظر إليَّ بتحفظ، وهو يغـرس بيديـه العـاريتين تلـك النبتة، تذكرتُ ما قاله يـوم قـال عـن الانحنـاء والتغـيير، فمنـذ أن انحنيتُ بشموخ متواضعة ومتصافية مع نفسي لم يشكُني:

- أنا لم أشكرك، لقد كان لكلامك وقع كبير في نفسي.

قلتُ له ذلك، رد وهو يكشّ التراب عن يديه:

- لا داعي لذلك.

- لِمَ لَمْ تحاول أن تثنيهم، لماذا لم تتهمهم بالكذب كما اتهمـوك كذبًا وبهتانًا؟

لم يهرب بعينيه هذه المرة كما كان يفعل كل مـرة، في عينيـه كان الحزن مقيمًا، لكن ليس انكسارًا، بل ظلال من بريق، قال لـي دون مقدمات:

- لأنَّ النـاس تعـرف الحقيقـة يـا آنسـة هـدى، إنَّهـم يُكـذِّبون أنفسهم ليس إلا، فكيف أثنيهم عن أمر يدركون كذبه.

- ألا تريد أن تبرئ نفسك من هذه التهمة؟

- والله إنني بـريء ممـا يـدعون، ولكننـا نعـيش في عـالم ملـيء بالشر.

- عن أي عالم تتحدث؟

- ذلك العالم الذي نعيشه، نتلمسه بأيدينا، نقبل عليه رغبـة منـا في الكسب منه لا محبة فيه أو بمن فيه، نحن نحاول طوال الوقـت أن نحلم بالعالم الجميل، ليس لأننا لا نستطيع إدراكه، بـل ضـعفًا منـا؛ إذا هو مجرد حلم. سأخبرك مثالًا، ألا تشترين السلع من السوق؟

- بلى، أشتريها طبعًا.

- ألا تجدين أن أسعار السلع مبالغ فيها.

- نعم، أجدها كذلك، وكذلك يشعر الجميع.

- إذًا لماذا نشتريها؟

- لأننا مضطرون إليها.

- هذا تمامًا ما أقصد، نحن نشتري ما هو فاسد ومغشوش؛ لأننا مضطرون إليه، فنشتري البضائع المغشوشة، ونرتشي منها بعد ذلك، أو هكذا يفعل معظمنا، نحن رضينا جميعًا بهذا الخداع، حتى صدق كل واحد منا أنه مظلوم، فظلم، ثم ظنَّ أنّه انتصر، كلٌّ يمارس خداعه على الآخر، ظنًّا منه أنه هو المظلوم، فكان هو الظالم والمظلوم في الوقت ذاته!

- كيف؟

- عندما تقبل الظلم على نفسك، تكون ظالمًا، وحين ترفضه على نفسك وتقبله للآخر أنت ظالم كذلك، وحين تتعرض للظلم فتظلم أنت ظالم.

- إذًا في كل الأحوال تكون الظالم والمظلوم؟!

- تمامًا؛ لأن الظلم معشعش فينا بدءًا من الماء الذي نسقي به تلك النبتة المسكينة، صعودًا إلى تلك المباني الشاهقة الارتفاع، التي انكسر أصحابها قبل أن يُتمّ بناؤها، فصارت شاهدة على فساد

متعشش فينا، ونتعايش مع كل هذا، رغم أننا على يقين أن الجشع قد تجاوز حدوده، العالم الذي تريدين مني أن أواجهه، هو العالم الذي ننتظره هو عالم نحلم به فقط، فإن اعترضنا على ما آل إليه فساد العالم سنُجزى بالسجن، سجن نصنعه بأيدينا أو يصنعونه لنا، وفي كلتا الحالتين ليس هنالك فرق...

- إذًا فالحلُّ أن نرضى؟

- لا نرضى فحسب، بل نتقبّل الواقع، وإلا ستتعبنا الحياة، سنصاب بالقهر والغم، وسنخدع بنشوة قصيرة الأمد، ثم ستسقط على رؤوسنا تلك النشوة لا محالة.

- ولكن أليس الخضوع ذلًّا؟

- نعم، هو كذلك، لكنَّ الله أمرنا أن لا نجرَّ أنفسنا إلى التهلكة، إن كان الغالب يقبل بالذلِّ فتحرَّر وحدك...

- إذًا ما الحل؟

- الحل في هذا التراب، أن ندرك أنه نحن، أنه الحقيقة التي يأبى البشر أن يصدقوها، وينسون أنه يومًا سيكون مصيرهم.

- فما الفارق الذي سيُحدثه صدقهم أو كذبهم يا ترى؟

- لا شيء..

- لا شيء بالطبع، فمحاولة إرضاء الناس غاية لا تدرك، لا نستطيع تصويب كل ما يُقال عنا...

شعرتُ أن العالم صار واضحًا مع كل ما قال، كل العالم صار واضحًا، اكتفى هو بما قال، ونظر إلى نبتته الصغيرة وأخذ يعدل التراب، مثبتًا إياها، وقفتُ منتصبة وكأنّ عمودي الفقري أبى إلا أن يتسمَّر في مكانه، غير راغب بأن يترك هذا السلمان وحيدًا، فجلستُ حيث كنت أقف، أراقب يديه وهما تتحدان سوية؛ لتقيما سدًّا منيعًا لحفنات التراب، ثم ترشقها على النبتة لتسندها. كل عمل يتطلب الاتحاد وإن كان بسيطًا؛ كغرس تلك

الصغيرة في حفرة تطالها شمس الله وأمطاره، وقفتُ أنفثُ التراب عن ثوبي، واتجهتُ نحوه:

- أستاذ سلمان، سنلتقي غدًا.

التفت إليَّ ملوّحًا بيده التي أكاد أراها ملطخة بالطين، وبقع دماء أصابته من الحجارة والأشواك الصغيرة التي اعترضت طريقه. كان لا بد لهذا الاتحاد أن يواجه صعابًا، إذًا فكيف ستغرس الحياة، أوشكتُ على الرحيل، وكانت تلك النبتة قد اتجهت نحوه وكأنه شمسها، شعرت أن بيني وبين النبتة قاسمًا مشتركًا، فنظرتُ إليها مبتسمة، وكادت تبادلني الابتسامة...

انصرفت وأنا أشعر أن شيئًا من الضوء تغلغل في أعماقي، ذكرني حديثه عن العالم بسفينة نوح، التي بناها عليه السلام بعد أن سئم ظلم البشر؛ بناها ليرحل إلى عالم آخر، أفضل، أكثر عدالة.. خرق القوانين أغرقنا بالديون، والمصائب، والكثير من الفقراء الذين راحوا ينبشون سلال النفايات، أو يسرقون المحالَّ التجارية والبنوك الصغيرة هنا وهناك.. لا ألومهم؛ فسيدنا عمر

حينما قام بإسقاط الحدِّ في عام الرمادة كان قد خشي -رضي الله عنه- أن يكون السارق مضطرًا إلى الطعام ومُنع منه، فتحيَّن الفرصة ليسرق.. هنا الظالم والمظلوم واحد، فكيف؟ وبأي حق يحاسب المظلوم حين يظلم؟ دومًا هناك من يغرق، ودومًا هناك سفينة تنجو...

خطر لي أن يكون سلمان من بين الذين ستنقذهم سفينة، وربما سأشاركه السفينة ذاتها..

***

سلمان

عدَّلت ومحوت كثيرًا، بل محوت أكثر مما عـدلت وأكثـر ممـا أضفت، ولكن ما كان ثابتًا طوال الوقت هو الحبر الأخضر، الذي لازمني طوال حياتي، حتى الأخطاء على دفاتر طلبتي وأوراقهـم لم تسلم من اللون الأخضر.. أقتني الأخضر وأسـكبه علـى دفـاترهم وأوراقهم بحب. الأخضر كان اختيـاري، والأخضـر صـار رفيقـي منذ أن أحسست برعشة المحبين للمرة الأولى في حياتي.

أذهب الى المقهى المتواضع قبل موعد حضـورها، وأجلـس مسلِّطًا عينيَّ على الباب، يقفز قلبي بمجرد أن ألمحها، أخفي حيرتـي بأحاديـث طويلـة عـن المدرسـة، والطلبـة، والأسـاتذة.. وتبـادلني الأحاديـث ذاتهـا، دون أن أتكلـم عـن نفسـي، ولا عنهـا..

كنت أخاف نظرتها، التي كانت تفتّش في وجهي خلف كل هذه الكلمات الخالية والخاوية، ويأتيني صوتها محمومًا على الهاتف المحمول راجيًا، كلما فرغنا من عملنا في المدرسة:

"هل يمكن أن أراك؟"

ومع الأيام صرت أحدِّثها عنّي، وتحدِّثني عن نفسها، ويقرِّبنا الصمت أكثر.. وكنت في أحايين كثيرة أتحصَّن وراء الكلمات، وتتطلع إليَّ بعينيها الجميلتين، اللتين تتسعان عندما تبتسم، وتنظر إليَّ حين أصمت، وتقول:

"أكمِل أكمل..."

في إحدى المرات كانت تلبس معطفًا واقيًا من المطر، ووجهها يخفي خجلًا لا يغيب عني، ساعدتها في خلع معطفها، كانت تلبس تحته قميصًا أبيض فوقها (جيرسي) خضراء، تمامًا كعينيها، وقد رفعت شعرها فوق رأسها، فتناثرت منه خصل كستنائية، كانت حريصة كل الحرص على ألا يمر يوم دون أن

ألقاها، أخبرتها أن علينا ألا نلتقي، فسكنت هي في جمود، نظرَت إليَّ محاولة استيعاب الأمر، وقالت بعد أن رتبت حروفها، وغزلت كلماتها:

- أعرف أني لا أعرفك جيدًا، وأعرف أنَّ في روحك ندبة لا تستطيع الفكاك منها، لكن تلك الندبة هي العلامة الفارقة التي جعلتني وستجعلني أتمسك بك...

- أنا أختلف عنك كثيرًا يا هدى...

- ألا نتشابه كذلك يا سلمان؟

أدركتُ أنها قد فهمت أن عالمي بعيد جدًّا عن عالمها، وأردت بكل ما أوتيت من قوة أن أحميها من التورط في عالمي؛ حارتي لا تشبهه حارتها في شيء، بيتي فقير، طعامي قليل، لا أملك سيارة فارهة، ولا دراجة ميسورة.. أدبر نفسي بصعوبة من المرتب الزهيد، الذي أكسبه من العمل في المدرسة، أعيش في حدود مرتبي الذي يصرف نصفه تقريبًا على أدوية أمي التي ما

بقي لها سواي.. لا أسمح لنفسي بأيَّ ترف، ولم يكـن هنـاك مجـال على أية حال، ولكن الترف كان يتملكني وأغرق به كلمـا التقيـت بها، ترف لم أعرفه ولم أعهده مسبقًا، ترف الحب الذي فاجأني كما فاجأتني كلماتها وهي تقول ضاحكة قبل أن تغادر:

- لا تقلق، لن تتخلص منيِّ بسهولة.

كنت أعلم علم اليقين أني لـن أسـتطيع الهـرب مـن تلـك العينين، لكنني أردت أن أحميهما مني، لـيس مـني تحديـدًا، بـل مـن الفقر، وضنك الحياة، وشظف العيش.. لكنها أبت واستنكرت مـا أفعل مرارًا، كيف تختار هدى فقيرًا مفلسًا مثلي، بالرغم مـن أنهـا تتلقـــى الكـــثير مـــن عـــروض الـــزواج مـــن زملائنـــا الأساتذة،؟!ورفضَتهم جميعًـا، بعـد أن فضَّـلت عـالمي.. أمـا هـي، فنفذت إلى قلبي بعمق...

وبالرغم من عجزي وفقري شعرت بالقوة، وكأنهـا كانـت سحابتي الخضراء التي لا تشبه أي سحابة.. بالطبع كانت لي طـرق مشـيتها، ومقـاهٍ جلسـتُ فيهـا، وذكريـات كـثيرة، بعضـها مـؤلم،

وبعضها جيد أو عادي على أقل تقدير. لكن ما أصابني بدا مختلفًا، لا أستطيع تفسيره. كنت شابًّا في أوائل الثلاثينات، وسقطتُ في شباكها، شِباك الحب، هذا كان كل شيء. كنت أعرف جيدًا أن على الحب أن يكلل بالزواج؛ ليستكين ويهدأ، ولم أكن سأقبل بحب لا يتم بالزواج، وسعيت جاهدًا للارتباط بها مرة بعد مرة، بعد مرة، ولكن في صمت، إلى أن جاء ذلك اليوم وتزوجنا، في بيت صغير بلا ترف ولا ضجيج، بحضور مَن يعنيهم أمرها، وأمي التي كانت الوحيدة من بين الحضور ممن يعنيهم أمري، أتيتُ إلى الحفل متأنقًا، على الأقل بحسب تصوري الشخصي، ولم أكن متفننًا في الأناقة، لكني على الأقل كنت أبدو كمعلم في المدرسة، هكذا قالت هدى حينها، فضحكنا.

وجدتها أمامي كاملة، سخية الجمال، وكأنها خرجت من أمنية، وعطرها لم يكن مثل عطري السائد الذي تعطرتُ منه من بضائع الباعة المتجولين الذين مررت بهم في طريقي إليها، تأملتها بحذر، وكأنني استكثرتها على نفسي، ولكن ما لبثت أن أسقطت

حذري، بعد أن مشت إليّ ممسكة يدي بلا خوف أو تردد، أمـدتني بالقوة، وخاطبتني برقة تلك الرفيقة، التي اختـارت الطريـق الـوعر لتشاركني فيه، وتعدني أن نصل إلى النهاية معًا.

***

هدى

فاجأنا الحب -على حين غرة- بلا تخطيط، وجمعنا نيسان، شهر الحكايات الربيعية، احتفلنا في نيسان، بعد أن أنبتت شجرة الأكاسيا أزهارًا معطرة، يُلقين علينا الأمنيات والأحلام...

فتحتُ عيني بصعوبة تحت أشعة شمس تسرَّبت من فجوات النافذة الخشبية الموارية، شردت بعيدًا، مستشعرة ألمًا خفيًّا بات يتفاقم في أعماقي، ألمًا لم أعهده من قبل، ألم الحب الذي معه نصير كالحمقى، كالضعفاء المستسلمين في ساحة المعركة، غير قادرين على إنجاز أيِّ شيء...

كانت أختي إسراء نائمة في كامل صفائها، تتنفس بهدوء وسكينة.. كيف يضيع جمال كجمالها في بيت يشيخ فيه والدان قد يفارقانها؟! أو من يدري لعلنا نكون الأسبق في الفراق، كما فعل

معراج.. ها أنا أنسحب من سريري انسحابًا هادئًا؛ كـي لا أوقـظ أحلامها.. عندما كنـت أوقظهـا في الصـباح، كنـت أضـع إصـبعًا داخل عينيها لأسألها إن كانت ما تزال نائمة، وحين تجفـل، تقـوم، وتصرّ على أن توبخني مؤنبة:

- ستسببين لي العمى قريبًا يا هدى!

وتقول لي أشياء أخرى لا داعي لذكرها هنـا، هـذا الوجـه - وجهها- لم يكبر، أنوار الصبح كانـت قـد تكدَّسـت في الغرفـة، أدركتني وأنا أتجهز ليوم زفافي.. لمحـتُ عينيهـا اللـتين كانتـا تغالـب دموعها وتتوقد حمرة. لم نتحدث، وكأننا نعلـم أن حـديثنا سـيكون مؤلمًا أكثر من سكوتنا، فآثرنا السكون. السكون المطلـق الـذي مـا طفق يكلل لقاءاتنا الأخيرة، غدًا سينسحب ظلي من غرفتنا هـذه، التي منحتنا الملجأ الآمن طوال الأعوام، اليوم المنشود الـذي لطالمـا حلمت باقترابه لن يكون تمامًـا كمـا تخيلـت؛ اشـترى لـي والـدي فستان الزفاف، واستكمل سلمان كل تجهيزاته الأخرى.

لم تكن تجهيزات زفاف بالفعل، بل أقل ما يقال عنها تجهيزات عيد ميلاد، لكن ذلك لم يمنعني من أن أكون سعيدة، لمجرد وجودي إلى جانب سلمان، ويداه تمسح عرق وجنتي الذي كان يسيل، فينساب محدثًا مروجًا من الألوان على وجهي، بسبب الطلاء الذي لطخوني به في صالون التجميل الوحيد، الذي استطاع سلمان أن يدفع تكاليفه، حتى إنَّ سلمان كان قد نادى على اسمي عدة مرات، وكأنه يريد التأكد إن كنت أنا هي ذاتها هدى التي يريد الزواج بها.

***

كل ما حولي معتم، فالكهرباء مقطوعة، والمياه تتجمع فوق البلاط، وغبار مكدس فوق الشبابيك، لم يكن من السهل إنجاز عمل التنظيف لغرفة مرّ على هجرها أعوام وأعوام، والحياة لم تكن بتلك السهولة التي ظننت أنها ستكون، وخصوصًا مع كميات الغبار المهولة التي استعمرت أنفاسي وأجبرتني على السعال، أشعر بالضعف وبالخوف مما قد تحمله لي أيامي القادمة، ولكني أراه محاولًا بكل ما أوتي من قوة، يعمل ليلًا على سيارة أجرة يعيره إياها صاحبه، وصباحًا في المدرسة، وفي أيام الإجازات يعمل في محل للأحذية عند ابن خالتي، الذي يملك عدة فروع في مختلف أنحاء المملكة.

كان يفعل كل ذلك لنتمكن من دفع إيجار الغرفة التي نسكنها، وثمن الدواء لوالدته التي تسكن الغرفة المقابلة، وكذلك ثمن الحليب والحفاظ لليلى التي شرفتنا لاحقًا. كانت تمر أيام عدة دون أن نلتقي، وحين لا يكون قادرًا على العودة إلى البيت، يمرّ

بينما أكون في المدرسة، فيترك لي رسالة مع وردة صغيرة، ويضعها حيث أعتاد أن يراني جالسة، كنت قد آثرت مثله ألا أجلس في غرفة المعلمات، فصرت أجلس بين ممرات المكتبة، وعندما يكون في البيت، يساعدني في غسل المواعين وطيِّ الملابس، يُصلح الحنفيات، ينزل إلى السوق، يشتري أغراض البيت، يدفع الفواتير متى ما توفرت قيمتها في جيبه، وقد كانت تلك الفواتير في ازدياد لسبب لا نعرفه، وحين يُخيم الليل يأخذ ليلى ابنتنا في حضنه لتنام، وأبدأ أنا بتصحيح أوراق الطلبة، ثم يكمل ما قد بدأت، فأغفو بجانبه وهو ساهرٌ مستغرقٌ في العمل، وفي بعض الليالي يقذف بجسده المتعب على سرير مهترئ على وشك السقوط، فتتكوم أجسادنا الثلاثة تحت غطاء نحتمي به، ونحن محدقون في العتمة.

رضيت أنا بالحياة التي اخترت، لكني كنت أشعر أحيانًا أنني السبب في كل ذلك الضيم الذي يعيشه سلمان، فكان

يشعرني بالحزن والشفقة على حالـه، وخصوصـا بعـد أن فارقـت والدته الحياة.

يخبرني عن رغبته في شراء بيت أكبر وأجمل، ويقول آملًا:

"لا بأس بالأحلام."

ولكني كنت أعلم تمامًا أنـه لا يملـك ثمـن بيـت، أو حتـى ثمن غرفة أكبر من هذه بقليل، فحـالُ البلـد مـن سـيئ إلى أسـوأ، والغلاء أخذ يتفشى مُحدثًا ثقوبًـا كـبيرة في جيـوب الأغنيـاء قبـل الفقراء، وأنا دائمًا ما أكـون منهكـة بحياكـة الأثـواب الـتي ملأتهـا الثقوب والرقع.

***

عندما عـدت مـن المدرسـة، فوجئـت بقـرع علـى البـاب، فتحَت ليلى، وعلمتُ أنها إسراء من القبلات التي وصلني صـداها حيث كنت أغسل يدي، سـلّمت عليهـا بعـد أن وجـدتْ لنفسـها مكانًـا علـى الأرض، وأخبرتهـا أن تنتظرنـي ريثمـا أُعـدُّ القهـوة، وراحت ليلى تشكوني إليها على ما يبدو، في انتظار أن يغلي الماء، دهنت بضع قطع من الخبز بالزبدة، نظرت حيث جلسـتا، تحادثهـا وتشكو إليها رفضي المتكرر من أن تخرج وتلعب مع الآخرين، كم تشبه خالتها، عنيدة لا تخضع لأحد، تعرف تمامًا ماذا تريد، وكيـف تحصي أحلامًا غير قابلة للمساومة.

أختي من أولئـك الـذين يملكـون سـلامًا نفسـيًّا، فتنخـرط بالحديث معها بالتفاصيل، كما تفعل ليلى، فهي مغرمة بالكلمـات تمامًا كخالتها، بالجمـل الطويلـة، تلـك الـتي تصـوغها كـل دقيقـة بطريقة جديدة، نعم حرفيًّا كل دقيقة...

على أية حال، نحمد الله أنني لست في مكـان خالتهـا الآن، التي تبدو لي وكأنها تنصت لكل كلمة تقولها ليلـى ذات السـنوات الثلاث، ولعلـها حقًّـا مهتمـة؛ فهـي قـادرة بقلمهـا أن تفـرغ كـل التفاهات على الورق، وتحولها إلى تحفة فنية يقرؤها الآلاف، هكذا كانت تفعل طوال حياتها التي لا تبدو لي أنها تجـاوزت أي شـيء منها، كل كلمة، كل نظرة، كل فكـرة، وكـل سـلام، أو كـلام، أو حدث، أو غضب.. كلها في داخلها. عروض الـزواج كانـت أكثـر ما أغضبها، لا أظنّ أحدًا تلقى عروض زواج بقدر ما تلقت هـي، كان جلّها أيام السبت، كل سبت عريس جديد، يزورنا مع والدتـه ليلتقيا بإسراء، كانت أكثرنا اتزانًـا وهـدوءًا، تـدخل المطـبخ لتعـد القهوة، فتجدنا أنا ومعراج نسترق النظر من فتحات الجدار الـذي يفصل عريس الغفلة، فتوبخنا بخجل يغمر وجهها...

في إحـدى المـرات تلَّقـت أمـي اتصـالًا هاتفيًّـا مـن أحـد معارفها:

"نودُّ زيارتكم لشرب القهوة ولقاء إسراء."

وافقت أمي على الفور، وتجهزت إسراء لاستقبالهم كالعادة، دقت والدته جرس المنزل، ففتحت إسراء.. دخلت امرأة عجوز، ودخل رجل أقل منها عجزًا، ولكنه كان عجوزًا هو الآخر، وأبقت إسراء باب المنزل على مصراعيه، منتظرة دخول الشاب الذي يرغب بالتعرف إليها، ولكن أحدًا لم يطأ الباب بعدهم، أغلقت الباب، وجلست بعد أن ألمحت لهم والدتي بالجلوس مرحبة، وإذ بالعجوز توجه حديثها لإسراء:

"هذا ابني مسعد."

لم تكن إسراء عابئة بحديثها، معلقة عينيها بالضوء المعلق في السقف، كانت على أية حال تحاول أن تعد اللمبات المضاءة، هكذا أخبرتني فضججنا بالضحك.

مسكينة إسراء؛ أذكر مرة زارنا فيها عريس أخبرها أنه يحتاج إلى من تساعده في مصروف إخوته الذين ما زالوا في سنواتهم الأولى في المدرسة، وأنه قد وقع الاختيار عليها؛ بسبب دخلها الجيد في الصحيفة التي تعمل فيها، فقد علم ذلك بعد أن

سأل عن الأجور، كما أنها فتاة ناجحة، لن تكون بلا عمل في يوم من الأيام، أظن أن أختي يومها قد جن جنونها، وأذكر أنها نادت معراج ليجلس معه بدلًا منها، فحدثه معراج عن الكابتن ماجد الذي كان قد أحرز هدفًا صاروخيًّا.

وفي إحدى المرات كان العريس ذا قامة قصيرة، وفور رؤيته لإسراء نفر بوجه والدته مؤنِّبًا إياها؛ لأنه كان قد أخبرها أنه يريد فتاة قصيرة، لا أن يبلغ طولها عشرة أمتار!!!

تلعثمت أختي أولًا، ثم وافقته على الفور:

"الله يسامحك يا خالة، يبدو أن ابنك قد اشترط عليك فتاة قصيرة القامة، وأنا أبدو كالزرافة بالمقارنة مع ابنك القصير هذا."

وهي تشير إليه، لَمَزتها أمي، فعلمت أختي أن أمي تلمزها على جرأتها في الحديث، لكن أختي لم تكتفِ، وأضافت محدِّقة في رأس العريس:

"على كل حال كانت فرصة سعيدة مقابلتك أيها القصير."

كانت تعلم أنها لن تسلم من العقاب، فدخلت على الفور تقول لي ولأخي بعد أن رأتنا نتابع الأحداث بشوّق:

- خبؤوني، خبؤوني.

فخبأها معراج في غرفته الصغيرة؛ ليحميها من عقاب أمي، ونحن نتضاحك، فتنفرج أساريرنا.

في إحدى المرات حدث أن زارنا عريس يحمل (بوكيه) جميلًا، ولكن ما إن احتضنته أختي إسراء حتى غرقت في نوبة من العطاس كادت تودي بحياتها.. وفي إحدى المرات خلع أحد العرسان جاكيت بدلته الجديدة، التي كان يبدو أنه اشتراها لهذه المناسبة بالذات، لكنه تبين فيما بعد أنه قد ألقاه بغير قصد على مقربة من شمعة معطرة وضعتها أمي على بعد أمتار من مكان جلوسهم، فاحترق مُحدِثًا دخانًا كثيفًا راح يتصاعد منه ومن الكنبة، مما اضطر إسراء إلى تركه وحيدا؛ لأنها -وبجد قولها- لم تستطع أخذ أنفاسها، فراح يحاول إخماد الحريق قبل أن يتسبب

بمصيبة، وهرب هو الآخر، قبل أن يطالبه والدي بثمن الكنبـة، ألا يكفيه ثمن البدلة التي راحت سدى؟!

وآخر من زارنا كان قد تعثر بـباب البيـت علـى مـا يبـدو، وقدم لها بطاقته الشخصية:

- هذا رقمي الخاص إن احتجت أن تكلميني فافعلي.

نظرَت إليه بعد أن غادر، وأغلقت الباب في وجهه:

- لماذا قد أحتاج إلى مكالمة هذا المعتوه!

- خبئيه، قد تضطرين إلى أن تكلميه يومًا.

خاطبتُها ممازحةً.

انتهيت أخيرًا من القهوة، واقتربت إليها حيث تجلـس هـي وليلى، واضعة صـينية القهـوة والخبـز المطلـي بالزبـدة الرخيصـة، والتفت نحوها:

– ها، أخبريني أمَا زلت تحتفظين ببطاقة العريس الشخصية، الذي قال لك بأن تحادثيه متى شئتِ؟

قالت مقهقهة:

– نعم، ألديك وظيفة لأجله؟ هل أطلب منه أن يرسل لك سيرته الذاتية؟

– آه، يا إلهي حتى بعد أن مرَّ على الأمر أكثر من عشر سنين لا يبدو لي الأمر مقبولًا.

– لا، صدقيني الآن أصبح الأمر أسوأ من قبل، فقد يأتيك طلب التعارف برسالة قصيرة مرسلة على إحدى صفحات (السوشال ميديا)، فتأتي الرسالة على هذا الشكل:

– مرحبًا، هل من الممكن أن نتعرف؟

– آه، للأسف، أسلوب رخيص.

- اتركينا من الأمر الآن، هل أنت مشغولة بشيء اليوم؟

- لا شيء.

- سنذهب إلى بيت أخي.

- معراج؟

- ومَن غيره!

- ماذا نفعل هناك؟

- سنجهز البيت لكم أنت وسلمان وليلى، فقد أخبرني أبي أنه قد أوكل مَن يضع البيت باسمك، هو لـك الآن، أرادنـي أن آتـي إليك لأخبرك بنفسي.

تجمدت في مكاني، لم أشعر بدموعي الـتي راحـت تمسـحها بعد أن جلست في حجري تواسيني، وقالت إسراء وقد ضـمتني إلى صدرها:

- وهل في ذلك ما يستدعي البكاء يا هدى؟

كنت أتنهد لافظة اسم معراج، وكأن اسمه قادر على أن يهدئ من روعي:

- الله يرحمك يا معراج، لم تسكن بيتك، وسأسكنه أنا بدلًا منك، هل هذا عدل يا إسراء!

- عدل الله يا هدى، كما أن الحي أبقى من الميت، معراج مات، ألا تريدين بيتًا أفضلَ؟! ألا تفضلين مساحة أوسع كي تلعب ابنتك ليلى وتكف عن شكواك لي؟!

معراج ذلك الماضي الذي تسرب اليوم إلى حاضري، كان لعودته اليوم إلى ذاكرتي أكبر نعمة، الحاضر الذي أرجعني إلى الوراء، اتضحت لي صورته الآن، كنت طوال الوقت أحاول أن أتحرر من كل ما مضى؛ كي أتحرَّر من آلامي. لكني ما تحررت من شيء، فحررني الله بأخي..

أخي معراج الذي كان ينتظر لقائي حتى قبـل ولادتـي، لا يمكنني في هذه اللحظة أن أجازي له أي معروف صنعه لي، المعطاء الذي لم يتوقف عطاؤه حتى بعد موته، الأسباب الـتي سـخرها الله لي تزيدني قوة وصبرًا، كان الطريق لكل الدعوات التي دعوتها أنا وسلمان بقلب خاشع موقن بالإجابـة، جثـوت علـى ركـبتي نحـو القبلة، وسجدت لله شـكرًا؛ لأن العـوض يـأتي منـه جميلًـا، ولأن القضاء يأتي منه لطف خفي، لا نشعر به إلا بعد انقضائه..

***

إسراء

أردت كثيرًا أن تكون لي رواية، كثيرون قالوا لي بأن أحكي حكايتي، ولكن هل يمكن أن يحكي شخص ما حكاية حياته فيسهبها ببساطة باستحضار كل تفصيل من تفاصيلها؟

قد يكون الأمر أقرب إلى الغوص في باطن المحيط، في أعماق أعماقه، وهل يمكن لشخص أن يحبس أنفاسه حتى يتمكن من الغوص في أعماق الأعماق، ومنفردًا لأن كل ما في أعماق محيطك لا يخص سواك، لكنك ستغرق في الأعماق لا محالة، كما هل يمكن أن أقدم حكايتي وأقول هذا نصيبي من الدنيا، حكاية عمرٍ بأكمله، متشابكة مع أعمار الآخرين، مَن شاركنا، ومن سبقنا، ومن يأتي بعدنا، ثم عن ماذا أحكي؟ هل أحكي عن الذين كبوا بلاءهم في أعماق أعماق الأسى، الذي قد تمحيه الأوراق

لكن لا تمحوه الذاكرة؟ أم أحكي حكاية الثوار الذين كانوا قد بدؤوا بشق الأنفس في التحرك من أجل التحرر من مخلفات الموروث الذي صك عظامهم، فباتت نحيلة متجزعة منتحبة من آثار الظلم الواقع على الشعوب؟

أم أحكي عن تفاصيل شهادتي التي استلمتها بعد طلوع الفجر، وبها واجهت معركة فاسدة كل ما فيها فاسد حتى الأقلام، التي استخدمتها لكتابة مشروع أجاز لي التخرج؟ هل أحكي عن مشاريع الزواج الفاشلة التي كانت تقتطع جزءًا مني في كل مرة، وأنا أشاهد آثار المجتمع البائس ينجلي بوضوح كوضح النهار أمامي؟!

كنت أستقر كل يوم صباحًا على كرسي هزاز بالقرب من الأبواب الزجاجية، وأقرأ بينما تشق الشمس طريقها، وترتفع في السماء.. دائمًا ما أبدا صباحي بالقهوة، وأجلس وحدي أرتشفها، بعد أن تخلت عني أربعون سنة مضت، فقد دبت الأربعون في عروقي مثل تيار طويل لا أعرف منتهاه. تيار سريع يوشك أن

ينحلّ فتصبح كل سنة من عمري حكاية قصيرة لا بداية لها ولا نهاية.. عندما تبلغ الأربعين، لن تستطيع التظاهر، لن تعمل في وظيفة تكرهها، ولن تصادق زميلًا لا تطيقه، ولن تأكل طعامًا لا تستسيغه، هذا ما حدث معي تحديدًا، حتى صغرت في عيني كل شؤون الحياة، وتراكمت الأيام، وتكدس الوقت من حولي، مِلت على الأريكة، وأغلقت عيني تمامًا كما أغلق كتابًا أنهيته للتوِّ، رنَّ هاتفي، لم أنتبه في بادئ الأمر، ولكن مع إصرار المتصل تنبهت إلى الهزات والرنين الخافت الصادر من جانبي، رقمٌ غير مُسجل، ثم إني منذ زمن بعيد لم أتلقَّ أي اتصال:

- مساء الخير.

- مساء النور.

- أنا أيسر، أين اختفيت؟

- أنا أعتذر؛ فقد كنت كثيرة الانشغال مؤخرًا.

- لا داعي للاعتذار، هل نلتقي؟

جاء سؤاله مداهمًا:

- لماذا نلتقي؟

- سأقول لك لماذا في الوقت المناسب.

حدَّدَ لي الزمان والمكان، ثم قال:

- هل يناسبك ذلك؟

- نعم، مناسب؟

وأنهيت المكالمة على عجل، ببساطة لأنه لم يعد لـدي كـثير من الصبر، ولا كثير من الطاقة لبعض الأمور التي قد تضيِّع وقـتي، لم أعـد أريـد أن أجلـس وأسـتمع إلى كـلام لا يضـيف إلـي أيـة معلومـة، أو لا يعطـي أيـة نتيجـة. لم تعـد الابتسـامات تسـتهويني كثيرًا، ولا أرغب أن أنخرط وتنخرط روحي بمزيـد مـن الأكاذيـب والنفاق، لم أعد أسـتطيع أن أسـتمر في التظـاهر، أو المبالغـة، كـل الأحداث التي مررت بها استنفذت صبري...

نظرت إلى صورة أخي معراج، وظللت شاردة أتطلع إلى وجهه الرقيق، قلت: "سأذهب لرؤية أيسر، ليس لشيء إلا لأجلك أنت، فلطالما كنت تذهب للقائه متحمسًا، ودائمًا ما كنت أتعجب من أنه كيف يكون لك صديق واحد فقط، فمن كثرة ما أحببتك كنت أظن أن الجميع عليه أن يفعل، لكنك كنت دائمًا تجيب أن لا وقت للأصدقاء الآن يا إسراء، يومًا ما سيكون لي الكثير الكثير من الأصدقاء، كنت تقول: أنا في منتصف العمر يا إسراء، وليس هناك متسع من الوقت لفعل أي شيء أريده، ربما غدًا سأفعل.

خدعَك الوقت يا أخي، فأردتَ التحايل عليه، فتحايلتَ على نفسك، وتوقفت عن الانتظار، أما أنا فما زلت أنتظر، أنتظر مقالي الذي كتبته الأسبوع الماضي ليُزين الصحيفة في العامود الذي من المفترض أن يكون مخصصًا لي، ولكنهم أبَوا أن ينشروه إلا بعد أن أُجريت عليه بعض التعديلات، فقد أضفت إليه الكثير من السياسة المباشرة، هم يفضلون السياسة الكاذبة، المنمقة، السياسة التي لا تعطي الكثير من التفاصيل...

نظرت حيث كانت صورة أمي معلقة على الجدار، كانت دائمًا ما تقول لي ما عليَّ فعله، والآن ليس لي منها سوى صورتها المعلقة، وعطرها الذي ما زال يعبق بثيابها، فقد قررتْ مع أبي أن يسكنا بعيدًا عن كل ما يذكرهما بمعراج، فض والدي الشركة مع شركائه، ونقل شركته إلى أبو ظبي. وبقيت أنا وحدي، وشجرة (الأكاسيا)، وجذوعها الرفيعة، التي تزدان دائمًا بأوراق رشيقة حزينة ناعمة، وتزهر بداية شهر (إبريل) من كل عام، مهملة تزهر، مهملة تثمر، مهملة تنفس عطرًا، تنمو وتزهر وتثمر رغم قلة الماء والغذاء. تصبر مثلي تمامًا على رحيل الجميع وبقائي معها وحدنا نجمع الذكريات، ذكريات كل السنين التي عشناها سويًّا، لا أعرف كيف نمَت تلك الشجرة في بيتنا، لا أحد يعلم، لا أعلم من سكن البيت أولًا، فقد وُجدت بشكل عفوي تمامًا، كثيرًا ما كانت أمي تعتني بها، كانت تعظنّ أن كل شيء سيكون على ما يرام، ما دامت تواظب على فتح نافذة منزلنا، وتتفقد شجرة (الأكاسيا). أبي كان كثيرًا ما يجلس تحت ظلها، ويحتمي بها من

أشعة الشمس الحارقة، أخي كان كثيرًا ما يجمع أزهارها، ويقدمها لأمي، التي تفرح بها وتضعها في مزهرية تملؤها بالماء، وتزين بها طاولة الغداء، وتتفاخر أمام جاراتها وصديقاتها بأن معراج كان من قطف لها تلك الباقة. وهدى احتفلت بالحب أمام تلك الشجرة بحضور عدد من الأصحاب والأقارب، لطالما رغبت هدى بزفاف فاخر، لكن النصيب جعلها تحتفل أمام (أكاسيا). (أكاسيا) التي كانت شاهدة على ولادتي، وولادة معراج، وهدى، أبت إلا أن تكون شاهدة على ولادة حب جديد، (أكاسيا) لطالما حملت هدى طفلة شقية تتسلق جذوعها، وتجلس فوق أغصانها. (أكاسيا) التي خبأت أختي وحمتها من توبيخات أبي وأمي لها بسبب شقاوتها المفرطة، أرادت أن تكون شاهدة على احتفائها بانتهاء فترة طفولتها، باتزانها، بحسن جمالها الذي توجته بأزهارها فوق شعرها المتناثر...

أما أنا فأحتفظ بأكاسيا كلها في قلبي، كل غصن من أغصانها، كل ورقة من أوراقها، كل زهرة نمت على مر السنين فوق جذعها الرقيق، الذي يكسوه الورد في لحظات، والشوك في لحظات أخرى، كل تلك الورود والأشواك التي نمت وسقطت، كلها ذكرياتي، كل تلك الأزهار كانت ابتساماتنا، وضحكاتنا، وشقاوتنا. وكل تلك الأشواك كانت أحزاننا ومخاوفنا، كانت (أكاسيا) تطرح الشوك؛ لتواجه موسم الأحزان؛ فيوم وفاة أخي معراج كانت أشواكها طويلة حادة، ويأتي نيسان ليكسوها الأصفر، فتزدان وترقص معلنة بزوغ فجر جديد ويوم آخر...

(أكاسيا) كل ما تبقى لي لأحادثه فهي مظلتي التي وضعت أسفل منها كرسيًّا وطاولة مكتب، أكتب وأجري معها حديثًا طويلًا، وها أنا متسمرة منذ ساعات، أحاول أن أكتب مقالًا يعجب رئيس تحرير المجلة حيث أعمل، عبثًا ضاعت كل محاولاتي.

ماذا أفعل؟ جربت كل شيء، كتبت موضوعًا، وثان، وثالث.. وفي كل مرة، أتحايل على الأحداث؛ فأخفف اللهجة ليُنشر المقال. إلا أنني كنت عاجزة عن تخفيفها هذه المرة، في هذا الموضوع بالذات لا أستطيع أن أكون محايدة، ظللت جالسة والقلم في يدي، ثم قررتُ أن أقص بعضًا من أزهار (أكاسيا)، وألفها بشريط، وآخذها مع المقال إلى بيت أختي الجديد؛ لأشرب معها القهوة على الشرفة، التي قالت لي إن سلمان قد باشر زراعتها، فلربما تمنحني تلك النباتات والطبيعة التي تطل عليها الشرفة شيئًا من الإلهام، الطبيعة التي تفيد الولادة بمعناها الاشتقاقي. لا بد أن تولّد في داخلي شيئًا جيدًا، أو تلهمني لشيئًا تلقائيًا، اليوم عطلة على كل حال، عدّلت غطاء رأسي، وخرجت من البيت متجهة إلى البيت الجديد، الذي كان قد بُني من حجر أبيض، ونقشت على بابه آية قرآنية: "إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا"، متداخلة الحروف، فكرت في أنَّ الآية نُقشت فوق القوس الحجري عنوة؛ فالقدر لا يصنع الأحداث صدفة، ولا يجعل أي شيء يمر دون ترتيب.. كانت أمي

قد أثثت البيت لمعراج قديمًا بأَسِرَّة نحاسية، والكنب من طراز ألماني أو صيني، مَن يعلم فلا شيء يمكن أن يوثق به بعد أن أحكمت الصين سيطرتها على كل شيء، حين دخلت البيت كانت صورة معراج تستقبلني على الباب، حيث أقدم سلمان على تعليقها قائلًا: إنَّ هذه الصورة ستذكرهم أن يترحَّموا عليه كل يوم، "وهذا أقل ما يمكننا فعله لهذه الروح الطيبة."

كانوا يجلسون جميعًا على طاولة الطعام، جلست معهم أشاركهم وجبة الإفطار، هذه المرة الأولى التي أرى فيها سلمان منذ أن التقيته في زفافهما؛ فهو كثير الانشغال دائمًا.. لقد بدَوا لي جميعًا هو وأختي وليلى عائلة سعيدة، أراهم وللمرة الأولى يبطئون في تناول الطعام، للمرة الأولى يجلسون حول المائدة، يتحادثون، يتبادلون الضحكات والابتسامات، بينما في وقت سابق، كنت أراهم يهرولون نحو الأيام، يجرون خلفها، كما قالت لي أختي، وهي تغسل المواعين بعد أن انتهوا جميعًا من الطعام، وراح سلمان يلاعب ابنته ليلى، فيجري خلفها تاركًا لي ولأختي المطبخ الذي

يطل على الشرفة، قالت هـدى بابتسـامة متجهـة صـوب سـلمان وابنتها ليلى: كنا نريـد أن تنقضـي الأيـام بسـرعة، والآن نريـد أن تبطئ وتهدأ.

أخذت إبريقًا، وأخذت أصنع القهوة، ضاعفت كمية الـبن كما أحب أنا أن أشربها، راقبت بحرص الفقاعـات حتـى لا تفـور محدثة كارثة في مطبخها الجديد، التي كانـت حريصـة كـل الحـرص على تنظيفه وترتيبه كما البيت كله الذي بدا وكأنها لا تفعل شـيئًا سوى تلميعه والاهتمام بشؤونه، صـببت فنـاجين القهـوة الثلاثـة، وأخذت فنجاني حيث الشرفة، وأمسكت القلـم، ورحـت أكتـب كلماتي التي ستمضي تمامًا كأنفاسـي، فجميـع اللـذين كتبـوا وقـد كانوا يظنون أنهم سيخلدون بكلمـاتهم، مـا خلـدوا، فكـل شـيء يختلف على الدوام وفي سرعة مدوية، لـن يسـعد رئـيس التحريـر بمقالي بالطبع؛ فالمقال الذي أرسله لي لأجري عليه تعديلات زدته بلة، أنا لست بغاوية نكد، ولكن تصريحات السيد رئـيس الـوزراء جاءت لتشعرني بالكآبة، فكيف بالله أكتب مقالًـا سـعيدًا، وجميـلً،

ومنمقًا، عن تصريحاته التي تقول إن الوطن على وشك أن يخرج من عنق الزجاجة؟ هل يصدِّق رئيس التحرير انطلاقة التنمية هذه، وخصوصًا أنه ضليع جدًّا باقتصاد البلد الذي لن يقفز بالتأكيد من آخر الزجاجة، بل ويتخطى العنق ثم يخرج بثقة عملاقة؟! فكيف يطمئن لتصريحاته، ويرتاح لها، ويطلب مني أن أكتب وبخط يدي بما معناه أننا جميعًا سعداء بهذا التصريح الذي جاء يحيي الأمل في نفس الشعب؟!

متلهف رئيس التحرير لمقالتي، فيرسل لي رسالة كل بضع ساعات:

- ها، ما أخبار المقال يا إسراء؟

الأفضل أن أسكت تمامًا، ولماذا أتعب نفسي بهذا المقال الذي لن أكتبه على أية حال؟ ولماذا أتعب رئيس التحرير الذي من المؤكد أنه ينتظر متلهفًا صدور المقال؟ كتبت إليه ردًّا سريعًا:

- أنا أستقيل.

وأغلقت هاتفي.

"فلنستمتع بهذا اليوم"، قلت لهدى التي كانت ما زالت ترتشف فنجان القهوة الذي أعددته لها، الأيام القادمة ستكون مبهجة، وخصوصًا لأختي التي أحاطت نفسها بكل تلك العطور والمنظفات؛ لكي تنسى رائحة الغبار، ومستنقعات الطرق القديمة.

أخذت أركض خلف ليلى، نضحك وللمرة الأولى منذ سنوات، في غرفة تتزاحم فيها أصواتنا وأرواحنا في بيت معراج...

***

عاصفة الماضي التي تصاعدت في عقلي جعلت قلبي يخفق بشدة، وسمعت نفسي تطلق زفيرًا قبل أن أصل حيث كان يجلس أيسر، ولسبب لا أعرفه ولأجل لا أدركه التقينا، حدَّق كل منا في الآخر قبل أن أقترب حيث كان جالسًا، وقف منتظرًا اقترابي:

- مرحبًا.

قلت ذلك سريعًا، ثم جلست منكفئة على نفسي، كلانا مرتبك ومحتار، تفقّدت شيب رأسه وعبوس ملامحه، قدّم لي لوح شوكولا، وقال متأملًا ردي:

- أما زلت تحبين هذا النوع من الشوكولا؟

نظرت باستغراب:

- نعم، ما أدراك أنني أحب هذه الشوكولا؟

- كنت كلما تدخلين البقالة أراك تتجهين نحوها، تمدّين يدك القصيرة وتتناولينها، كانت هذه النوعية بالذات..

رحت أتناول لوح الشوكولا، أنا بالفعل كنت أحب طعم هذه الشوكولا، أما الآن فلطعمها ذكرى لذيذة، تجعلني أتذكر، والتذكر يعيننا على فهم كل هذه الأيام غير المفهومة.. ثم قال:

- كيف أصبحتِ؟

قلت:

- بخير.

وقد قلت الحقيقة، أنا بخير فعلًا، لقد فهمت أخيرا الحياة بعد أن فهمت الموت، أو أني فهمت ما كان يخيفني طوال حياتي، فهمت الحياة بعد أن أدركت هوان الدنيا، حقيقتها، وحقيقة الأشياء كلها، ولكني متعبة فقط من المجاملات، والحوارات العابرة، والسيناريوهات ذات الاحتمالات الكثيرة.

قال متلعثما:

- حاولت العثور على الكلمات، وقد تدربت كثيرًا قبل أن أتصل بك أخيرًا، أنا أعتذر عن الاتصال بهذه الطريقة، لكني... لقد كنت أريد التحدث إليك... أعني أنني كنت أريد...

لم يتمكن من صياغة أية عبارة، كان يتصبب عرقًا، فحاولت التهدئة من روعه، وقلت بنظرة حانية:

- لنطلب القهوة.

وقبل أن نفعل، قال وعلى حين غرة:

- أتتزوجيني؟

صمتُّ للحظة، في محاولة لاستيعاب كلماته، كان ردي قاحلًا، وكل ما قدرت شفتاي على التلفظ به كانت عبارة:

- لا أعرف.

وأخذ هو نفسًا عميقًا، ثم قال برقة:

- لا داعي لأن تجيبيني الآن...

كان ينظر إليَّ بدهشة، للمرة الأولى ثمة مَن يقدر صمتي، هدوئي، رزانتي، قلة انفعالاتي.

بقيت عيناي محدقتان نحوه باستغراب، وهو يعلم أني أنظر إليه بعين الدهشة، فمن أين يظهر هذا الأيسر بعد كل تلك السنين، يجلس قبالتي، يطلب أن يتزوجني، وأنا لا أعرف عنه سوى أنه صديق أخي معراج، الذي يكبره بأعوام، ويصغرني بثلاثة؟! بقيت متيبسة لا أبدي أي تعبير سوى الانسجام المصطنع، سكب إبريق الشاي في كأس شفاف ومده نحوي، ارتشفنا الشاي وراح يحادثني عن مشروعه الذي يريد مني أن أكون جزءًا منه، فهو لطالما حلم بأن يصنع فِلمًا يوصله إلى عالم الشهرة، لكنه يرغب كثيرًا في أن يعرف سر النجاح، الذي استطعت به أن أتلقى الكثير من عروض العمل المحلية والعالمية. أحرجني سؤاله، لكنه بدا لي صادقًا، أو متواضعًا، فقد أنجز الكثير مؤخرًا بعرضه دعايات تروّج

لشركات الاتصال، وتهافتت عليه بعد ذلك أكثر الشركات راغبة، ومتمنية منه أحيانًا إنتاج دعاية لها:

- أنت تبالغ يا أيسر.

- لا أبالغ، أعلم أنك تملكين موهبة فذه تنافسين بها كتّاب مقال كبار على مستوى العالم.

- موهبة؟ ليست موهبة يا أيسر، أظن أنك تعلم جيدًا أن طريق النجاح لا يتطلب موهبة بقدر ما يتطلب الاجتهاد؛ لإتقان أمر ما.

- صحيح، لا شيء محض صدفة.

- نعم، لا شيء محض صدفة، ولا شيء يحددنا منذ الولادة، فنحن لم نخلق بشارات تفرقنا عن بعضنا البعض، لتجعل رضيعًا ما يختلف عن آخر، بل نولد بأشياء نعرفها بالفطرة؛ كالرغبة في الطعام، والراحة، والنوم، والحاجة إلى الحنان، والقدرة على البكاء.. جميعنا نولد هكذا، وجميعنا يستطيع الوصول إلى النجاح،

بالطريقة ذاتها؛ بإدراك فن الفضول، الذي يجعلنا نستهوي الاطلاع على الكتب وأفكارها، نسترق السمع إلى الموسيقى ونوتاتها، والنظر إلى الرسومات وألوانها، التي تزين المعارض بلوحات فنَّانيها...

– هذا صحيح؛ فالفنان الكاذب وحده من سيجيبك عن أنَّ أفكاره تأتي من تلقاء نفسها، ومثلك سيجيب بالحقيقة؛ الفنان الحقيقي يدرك ما لا يستحق الدراسة، ويجمع كل ما يستحق

الدراسة في عمل متقن، بعد أن يضيف بصمته الخاصة، المخرج (فرانسيس فورد كوبولا) الذي يُصنف من أهم المخرجين في التاريخ، وحصل على خمس جوائز (أوسكار)، قالها بوضوح: "نريد منك أن تأخذ منا، نريدك في البداية أن تسرق منا، لأنك لا تستطيع أن تسرق، ستأخذ ما نقدمه لك، وسوف تضعه في صوتك الخاص، وهذه هي الطريقة التي ستجد فيها نفسك".

- هذا صحيح، وهناك مثلٌ أجنبي أحب دومًا تكراره: "ادَّعِ الأمر حتى تتقنه". كانت أم كلثوم قبل أن تصعد إلى المسرح تصاب بخفقات قلب كثيرة؛ لأنها تشعر أنها لا تستطيع الغناء! أم كلثوم كانت تجلس على كرسي إلى حين انتهاء الفرقة من عزف مقدمة أغنيتها، تتأمل الوجوه وتألفها؛ كي تستطيع أن تقنع الجميع أنها تمسك المنديل بيدها فقط لتبدو أكثر أناقة، ادّعت القوة فصدقها الجميع..

- صحيح.. صحيح، دعينا نعود إلى موضوعنا، ما رأيك بالمشروع؟

- مشروع الزواج أم الفيلم؟

- الاثنان معًا.

- لا تكن طمّاعًا، بالكاد أعرفك، وأنت تعرض علي أمرين!

- لن أضغط عليك يا إسراء، لكن انظري إلى حالنا فقد تأخرنا جدًّا في الزواج.

- لا أظن أن هناك أي شيء يتأخر عن توقيته، عندما تحدث الأشياء تحدث لا لسبب إلا لأنه توقيتها المناسب، من السهل أن نفكر ونقول: لماذا يحدث كل ذلك؟ أو لماذا لا يحدث كذا وكذا؟ عليك أن تدرك أن لله خططه.

- صحيح، وأدرك كذلك أنك تخافين مثلي من الارتباط.

- لا، لا أخاف الارتباط، لكني أخاف الفقد إن أحببت، أخاف التعلُّق بالأشخاص والأشياء، كما أني لا أعرفك جيدًا، ماذا لو غيرت رأيك فجأة، وأردت أن تبقى عازبًا، تحوم حولك الفتيات من كل الأعمار، ولماذا تتزوج فتاة تكبرك بثلاث سنوات؟! ثم إني قد تجاوزت الاربعين؟

- أنا أعرفك يا إسراء، أعرفك جيدا منذ كنت فتاة صغيرة ترتدين الفساتين الطويلة، و تضعين زهرة (أكاسيا) صفراء خلف أذنك اليمنى، وكنت كلما مررت بنا حين ترسلك والدتك لاستدعاء معراج، أو الى البقالة، مررت بهدوء بعكس الجميع، كنت أميّزك بين جميع الفتيات، وأنت تلعبين الحبل، وتلفينها حول

قدميك، حيث كانت تعلو محياك ابتسامة رقيقة متزنة، أنـا أعرفـك جيدًا يا إسراء.

- ولماذا الآن يا أيسر تحدثني عن كل ذلك؟

- خفت، خفت أن أبدي إعجابي بك فأخسر أخـي وصـديقي معراج، أردت مرارًا أن أحادثه في الأمر، لكـن خـانتني الشـجاعة، رغم أني قـد قـررت أن أحادثـه في الأمـر فـور تخرجـه، أعلـم أن قدري مؤلم بل أحمق، فقـدت صـديقي الوحيـد الـذي شـد أزري، وسـند ظهـري بصـدر قـوي.. موجـع أن يكـون الاختبـار أعـزّ أصحابي، وأخشـى أن أخسـرك كمـا خسـرته، وأنـا لا أرغـب في شيء الآن أكثر من أن تقبليني زوجا لك..

سكت قليلًا، ثم قال:

- أعتقد أنك تجدينني مجنونًا.

- لا، لست كذلك، بل أنت كل ما تمنيت في شريك أردت أن أكمل معه حياتي، ولو أني كتبت لائحة بكل الصفات التي أريدها في شريك حياتي؛ لظهرت معظمها أمامي في شخصك أنت، أنت بقايا أخي، أنت الوحيد الذي نظرت إلى وجهه، ولم أشعر أنك شخص غريب. هاتان الصفتان كفيلتان في أن يجعلانني أقبل بعرضك هذا، ولكني كنت قد تلقيت من صحيفة عربية تصدر من باريس عرض عمل بمبلغ جيد، وما يجعلني أوافق على قبول هذا العرض، هو الحرية التي تتمتع بها هذه الصحيفة، وقد كنت قد اقتنعت مؤخرًا أن الحرية هي الأهم في مهنة الكتابة، كما أنهم قد أشاروا إلى العرض الذي وصلني عبر البريد الالكتروني أنني سأحصل على بيت خاص قبالة الصحيفة حيث أعمل، وسيكون لي مكتب منفرد، مليء بالكتب العربية التي أستطيع أن أقتني منها ما شئت. وقد أشار مرسل الرسالة إلى أنهم في أمسِّ الحاجة إليَّ؛ لأنهم قد خسروا من كان يعمل في هذه الوظيفة بعد أن أودت بحياته نوبة قلبية. ثم ماذا عن أحلامي، أحلم بالاستكشاف،

والجري وراء المعرفة، واقتناص الفرص العديدة، والجـرأة في قـول الحق، أحلم بكتابة رواية..

– أعدك أن تكتبي تلك الرواية، وأساعدك في إشهارها، أعدك أن نستكشف العالم سويّة، أن نتعلم سويًّة، أن نقـرأ الجريـدة معًـا، أن نكون نحن الحدث الأكثر أهمية.

– دعني أفكر.

– حسنًا.

افترقنا ، وكان عليَّ أن أتخذ القرار. هو بالتأكيد ذلك النوع النادر من الأشخاص، الذي يشبه تلك السـطور الـتي نضـع تحتهـا خطوطا كثيرة في الكتب، التي نـود إعـادة قراءتهـا. السـطور الـتي تعود إليها، لأنك تظن أنها تنتمي إليك، أو تنتمي إليها، بها منـك، وبك منها، تلك السطور تعرفـك، وإن لم تكـن تعرفهـا، وعرفتهـا للتو. دائما ما كنت أؤمـن أنـني سـألتقي ذلـك الرجـل ذا القلـب المؤمن، ذا العقل الناضج.

لم أسعَ يومًا للحصول على ما يجب أن أحصل عليه، بل ما أريد وأرغب الحصول عليه، وما أردت شيئا يجعلني أنتظر، وما أردت يوما شيئًا يحزنني، أو شيئًا أخشاه، أو أعاتب عليه.. وفي الوقت ذاته، أردت أن أكتب، وبالكتابة وحدها كنت أنجو بنفسي من كل تلك المشاكل، التي يغرق فيها العالم، وأطفو أنا وحدي على سطح ورقة.

***

استجمعت شجاعتي، أمسكت هاتفي، وحجزت أول طائرة متجهة إلى باريس، احتجت إلى بعض الهواء النقي، فخرجت أتمشى في الحديقة، رأيت (أكاسيا) تقف حزينة، معلنة قرب بروز أشواكها، وقفت تحتها، رفعت عيني حيث كانت تغطي بجذعها السماء من فوقي، رفعت يدي صوب السماء المليئة بأشواك (الأكاسيا)، وقلت في جوفي: "اللهم أبعد عني الشر، وآتني ما تراه خيرًا لي"، حركت يدي لأرفع جذعها الذي بدا لي منحنيًا، وإذ بشوكة تلتقط قميصي، حاولت أن أفلت يدي، فسحبتها بقوة أحدثت شرخا أتلف قميصي، جلست لوهلة أتأملها، سكبت دموعًا حيث أجلس أنا وتقف هي مع ظلها، بقيت جالسة، أمسكت هاتفي، اتصلت بأيسر واستدعيته من بيته، الذي يبعد عن بيتنا أمتارًا قليلة، عندما حضر كنت ما زلت متصلبة مثل الصخرة تحت الشجرة، اقترب وجلس بجانبي:

- ما بك؟

سألني برقة، وأخرج منديلًا ناولني إياه كي أمسح دموعي:

- أقبلُ الزواج منك يا أيسر.

وقف مشدوهًا، مندهشًا، منتشيًا، فرحًا، فتعالت ضحكاتنا طربًا..

أما أنا فكان ظني أن كل شيء سيأتي في آوانه وكان أواني في زمانه، تحت شجرة (الأكاسيا)..

***

تمت بحمد الله

2019